النقد

سلسلة الموسوعات العربية

معجم الادباء
للدكتور عبد الوهاب عزام

كأن للأستاذ محمود مصطفى أرباً فى أن يصدّنى عن نقد معجم الأدباء ، أو مصلحة فى أن يحسب من المجادلين عن ناشرى الكتاب . فهو لا يألو جهداً فى أن يشغلنى بمناقشة غير سديدة

نشرت « الرسالة » للأستاذ ردّه فى سبعة مآخذ مما أخذته على المعجم فى مقالى الأول ، ثم طلع على الناس فى جريدة المصرى بمقال قال فيه :

« فقد كانت المآخذ عشرة فما زال بى (يعنى صاحب الرسالة) حتى نزلت له عن اثنين فيها . فلما حاول أن أنزل له عن ثالث لم أقبل فتظاهر بالرضى عن نشره ، ولكنه حين خلا بنفسه حذف ذلك المأخذ ، وما كنت أحب أن يكون منه ذلك . والأعجب من هذا أنى حين ناقشته بعد ظهور المجلة فى أمر هذا الحذف كان جوابه أن الدكتور عزاماً لم يرض عن نشره »(١)

وأنا أعرف أن الزيات نصح الأستاذ أن يحذف جداله فى بعض الكلمات تنزيهاً له وللرسالة عن اللغو لا إشفاقاً من حججه الدامغة . وقد أبى الأستاذ إلا أن ينشر على الناس المآخذ الثلاثة التى نصحه الزيات بحذفها ؛ وليس أدل على نصح صاحب الرسالة ، ولا أدمغ لحجة الأستاذ محمود من نشر هذه الكلمات

١ — قال الأستاذ إن مرو الشاهجان ينبغى أن تكون بكسر الهاء . وهذه حجته : « إن التركيب إضافىّ فى اللغة الفارسية ، ومعنى مفرداته هكذا . المرو = المرج . الشاه = الملك . جان = نفس أو روح . فالمعنى على ذلك : مرج نفس الملك . والقاعدة فى اللغة الفارسية أن جميع كلماتها مهملة الاعراب ملازمة السكون إلا فى موضعين : الموصوف وأول المتضايفين فهما يكسران ، وذلك يعرفه من ألمّ أقل إلمام بهذه اللغة ، فمن أجل ذلك كان كسر كلمة الشاه واجبا . . . ويظهر أن لهذا المأخذ شأناً خاصاً إذ كان هجوما فانتصارا من أعزل مثلى (لم يجلس إلى معلم الفارسية إلا شهراً أو شهرين) على عالم جليل يفوق أهل اللغة علماً بأسرارها . فهذا ما حدا بصديقه الأستاذ الزيات إلى تخطّيه التقليد الواجب فى مثل هذا المقام » اهـ

وأقول إن للكتّاب محنا ، وأشدها على أنفسهم أن يضطروا إلى الجدل فى الصغائر وأن يرجعوا القهقرى إلى عهد الكُتّاب

إن تفسير مرو الشاهجان بما فسره الأستاذ منقول من معجم البلدان ، وقد قرأته منذ أمد بعيد وعدته من هذيان ياقوت فى تفسير أسماء البلدان . كالذى يقوله عامة مصر فى تفسير الفيوم بألف يوم ، والبدرشين بقول يوسف الصديق حين رأى زليخا عجوزاً : أصبح البدرشينا الخ

والصواب : أن مرو الشاهجان تعريب مرو شاهكان ، أى مرو الشاهيّة . وتفسير هذا لا يفهمه من درس الفارسية شهراً أو شهرين

ولو سُلّمت للأستاذ هذه الخرافة ما بلغت به غايته ، فمن (ألم أقل إلمام) بالفارسية يعلم أن القاعدة التى ذكرها الأستاذ غلط . ولو أنه (جلس إلى معلم الفارسية شهراً أو شهرين) لعرف أن المضاف إذا تقدم يكسر ، فاذا عكست الاضافة وتقدم المضاف اليه لم يكسر ، مثل عالشاه وجهانشاه وخوانسلار وهلم جرّا . ومقتضى خرافة ياقوت التى تبعه فيها الأستاذ أن شاهجان معناه روح الملك فالمضاف اليه مقدم ، فيجب أن يقال : شاهجان باسكان الهاء ، وهذا الضبط مروىّ أيضا

هذا جدال الأستاذ فى الفارسية ، فلننظر أكان أقوم رأياً فيما يرجع إلى العربية وآدابها والاسلام وتاريخه

٢ — فى ص ٢٩ ج ٢ من المعجم : « لأن المهلّبى مات بعمّان » وفى الحاشية : عمّان بلد فى أطراف الشام . قلت

(١) هكذا زعم الأستاذ محمود ! والله وحده يشهد أن ذاكرته عصته فنسى ، أو أن لسانه أطاعه فاختلق . (وما كنت أحب أن يكون منه ذلك) (الرسالة)

الصواب : عُمان ، لأنى أعرف من تاريخ المهلبى أنه مات بعُمان لا بعَمان . فانظر كيف يجادل الأستاذ . يقول : يفهم من كلامى أنى لا أعرف أن فى الشام بلدا اسمه عَمّان . كأن اشتغالى بأمور المسلمين والعرب التاريخية والحاضرة ، وذهابى إلى الشام ثمانى مرات لم يعرفانى أن فى الشام بلداً اسمه عَمّان ... الخ . والحمد لله على أن أحداً غيره لم يفهم هذا من كلامى . ثم يقول : « فيثبت بواسع علمه أن المهلبى إنما مات بالتى على الخليج الفارسى (عُمان) ولم يمت بالتى فى الشام ، فأما مجرد التخطئة فى الضبط فليس فيها إقناع مادام للبلدين وجود فى العالم العربى الذى كان المهلبى يتولى الوزارة فيه » اهـ

يا أستاذ ! المهلبى مات بعُمان ، ولا يحتاج إدراك هـذا إلى علم واسع فاقرأ ترجمة المهلبى فى معجم الأدباء نفسه لتعرف أين مات الرجل . كيف وأمامنا النص القاطع نقول إن المهلبى كان وزيراً فى البلاد العربية فجائز أن يكون مات فى كل بلد عربى ؟ ولو لم نعرف بالنص أن الرجل مات بعُمان أو عَمّان لرجحنا الأولى ، لأنا نعلم أن المهلبى كان وزيراً لمعز الدولة بن بويه ، وبنو بويه لم يمتد سلطانهم على عمّان قط . أرأيت أيها الأستاذ أن الزيات نصحك ولم يغشك حين أشار عليك بالعدول عن الجدال فى هذا ؟

٣ — جاء فى الكتاب : « وأنفذتُ لِشُكْرِسْتان صاحبِ الخ » فقلت الصواب لَشْكَرستان ، فوقف الأستاذ موقف الحكم يخطىء الناشر والناقد فى ناحية ويصوب رأيهما فى أخرى — ولو عرف أن لشكرستان هنا اسم رجل لا مكان لأراح نفسه من هذا العناء . فليخطىء نفسه ويستريح

٤ — ورد فى الكتاب السَّرِىّ الرِّفَّاء — فقلت الصواب تشديد الفاء . فقال الأستاذ إن المؤاخذة بهذه الشَّدّة « شِدّة متناهية » وأن الذنب فى هذا على المطبعة — وأنا أقول لولا أن الناشرين التزموا الشكل فى كل حرف لما آخذتهم بهذا ، وقد شكلوا حروف الرفاء كلها فشددوا الراء وفتحوا الفاء عبثاً . فلم يكن بد من أن أظن أن تخفيف الفاء مقصود . لأن من يشكل ما لا يحتاج الى شكل لا يترك ما يحتاج إليه إلا عمداً

٤ — وجاء فى الكتاب من رسالة الخوارزمى إلى البديع : « ففيهم لعمرى فوق ما وصف حسنُ عشرة وسدادُ طريقة وجمالُ تفصيل وجملة » فقلت الصواب أن ينصب حسن وماعطف عليه على أنها تمييز — فقال الأستاذ ما قال : ورمانى بأنى لم أدرك ما تقضى به بداهة النحو

والأستاذ فى هذا مُليم ومعذور ؛ مُليم بما حسبنى قرأت الجملة كما قرأها فلم أهتد إلى أن « فيهم » خبر مقدم و « جمال » مبتدأ مؤخر . وكان عليه أن يفرض أن لى وراء هـذه البداهة النحوية نظراً دقيقاً فى الجملة عدل بى عن رفع الكلمات إلى نصبها ، وكان عليه إذ لم يبن له قصدى أن يستوضحنى ثم يجادل . وأما أنه معذور فلأنى لما كتب الجملة كلها مصححة وكان يلزمنى أن أعيدها كلها على هذه الشاكلة : « فهم فوق ما وصف حسنَ عشرة الخ » ولكن حرصى على الايجاز فى نقدى كله أفانى هذا البيان

وانظر ما الذى دعانى إلى تخطئة الجملة كما ضبطت فى الكتاب : لو أنى اكتفيت بقراءة الجملة وحدها أو قراءة رسالة الخوارزمى كلها لما أدركت السقم فى هذه العبارة ، ولكن قرأت رسالة البديع التى أجاب عنها الخوارزمى فأدركت الخطأ والصواب . وبيان هذا أن البديع كتب إلى الخوارزمى ينقم عليه سوء لقائه ويصف قومه فى همذان بأوصاف هى فى مضمونها حسن العشرة وسداد الطريقة الخ . وأجابه الخوارزمى معترفا بأن قوم البديع أو أهل همذان فيهم هذه الأوصاف : حسن عشرة الخ فلا يمكن أن يكون معنى جملة الخوارزمى : إن قومك فيهم فوق ما وصفت : حسنُ عشرة الخ لأن هذه الأوصاف ليست زائدة على ما وصف البديع ، بل هى خلاصة وصفه ، ويجب أن يكون مراد الخوارزمى أن القوم فيهم من حسن العشرة الخ فوق ما وصف البديع ، وهذا لا يستقيم مع الجملة التى فى الكتاب فالصواب ما رأيت . ويؤيد هذا رواية رسائل البديع المطبوعة فى بيروت : فأما القوم الذين صدر عنهم سيدى فكما وصف حسنَ عشرة وسداد طريقة الخ »

فهل يرى الأستاذ بعد هذا أنها غفلة عن بداهة النحو أو نظر دقيق وراء النحو والصرف لا يدركه إلا الموفقون لادراك دقائق البيان ؟

٥ — جاء فى الكتاب « وكان مفتياً فى علوم شتى » قلت : الصواب متفننا . وقال الأستاذ مفتَنّا . فقد وافقنى على خطأ الكتاب . وأنا أفرض أن مفتنا أصح من متفنّن . ولكنا نبحث عن عبارة يافوت ، وهو قد استعمل «متفننا» فى مواضع منها ما فى ص ٢٣٨ ج ٢ : وهو شاب فاضل بارع متفنّن » وقد استعملها الناشرون أنفسهم فقالوا : « كان غزير الفضل متفننا فى العلوم (ص ١٠٧) فأن ادعى أنها حيث وجدت فى الكتاب محرفة عن متفنن فليؤاخذ بها الناشرين حيثما وجدها

وبعد فأنى أحمد للأستاذ غيرته فى المجادلة عما يظنه صوابا ، ولكنى أود أن يتثبت ويتّهم ظنه كثيراً وأن يجادل للحق لا طلبا للزلفى عند الناس . ثم أقول له ختاما : إنى أربأ بالأستاذ وبنفسى وبالقراء عن مثل ماجادل به فى مرو الشاهجان ، وعمّان ، ولشكرستان الخ ، فأن عاد الى المجادلة فى أمثالها فليعذرنى إذا لم يظفر منى بجواب وحسبى ما أضعت من وقتى فى جداله

ثم أعود الى المعجم ، منجزاً ما وعدت به من نقد تعليق الناشرين على الجزء الثانى :

سأتجاوز عن شرح البديهيات مثل السخط : ضد الرضا . والعواقب : جمع عاقبة آخر كل شيء . وسأترك شرح الفضول فان الناشرين يقولون إنما نريد أن نوضح الواضح وأن نستطرد لأفادة القارئ كما يستطرد صاحبا الكامل والأمالى ولكل وجهة

ثم أعدّد المآخذ الآتية :

ص ٣٠ — قول الصابى :

قُلدتُ ديوان الرسائل فانظروا أعدلتِ فى لفظى عن التسديد
أعلىّ رفع حسابِ ما أنشأته فأقيم فيه أدلتى وشهودى

وفى الحاشية : « فى هذا البيت لبس . ولعل حساب منونة منعت من الصرف للضرورة وتكون ما نافية والمعنى حسابِ ما أنشأته أو أن الأصل ما أنشيه » وليس فى البيت لبس ولا ضرورة . وحساب مضاف الى ما أى حساب الذى أنشأته . والمعنى أيلزمنى أن أرفع إليكم حساب منشآتى كما يرفع صاحب الخراج حسابه الخ

ص ٣٨ — الكنَف : الظل . وهذا تفسير مضلل للقارىء الذى فرضنا أنه فى حاجة الى إيضاح الواضح . والتجوّزُ لا يسوغ هذا الشرح ، بل الكنف الجانب والناحية الخ

ص ٤٠ — «فتبعنى بعض حجابه وعدل بى إلى بيت من داره» وفى الحاشية : عدل إلى الشيء رجع . وهذا تفسير إن صح فى بعض الاستعمال لا يصح لتفسير الكلمة هنا . فهى هنا بمعنى مال وحاد

ص ٦٩ — العذار الشعر المتدلى بجانب الأذن ؛ وهذا غلط . فالشعر المتدلى لا يسمى عذارا ، وإنما هو الشعر النابت على جانبى الوجه

ص ٧٣ — الحائن : الأحمق . والذى نعرفه أن الحائن اسم فاعل من الحَين أى الهلاك

ص ٧٤ — قول الصابى فى وصف البق :

أحاط بى عسكر للبَق ذو لجب ما فيه إلا شجاع فاتك بطل

فى الحاشية : اللجب الصوت والجلبة . ما عهدنا للبق لجبا ، وإنما ذلك للبعوض اه . أقول البق هو البعوض . ولا يعرف البعوض فى العراق اليوم إلا بهذا الاسم

ص ٨٩ — الشريحة كل قطعة من اللحم — والصواب القطعة المرقّقة من اللحم

ص ٩٠ — الجمار الجزء الأبيض من طلع النخل — والجُمّار ليس من الطلع وإنما هو قلب النخلة أو شحمها كما يقول اللغويون واسأل أى عالمٍ فى مصر عن الجمار

ص ١٠٧ — ذكر اسم الصابى فى المتن . فأثبت الشارح فى الحاشية ترجمته فى خمسة أسطر . وقد مضت قبل عشر صفحات ترجمة الصابى فى أربع وستين صفحة — كأن الشارح لا علم له بما مضى فى الكتاب — وفى الحاشية نفسها ترجمة للصاحب بن عباد فى ثمانية أسطر وستأتى ترجمته فى خمس وأربعين ومائة صفحة

وفى حاشية ص ١٦١ ترجمة لبديع الزمان مختصرة من ابن خلكان . وفى الصفحة نفسها تبتدىء ترجمة البديع فى متن الكتاب وتستغرق إحدى وأربعين صفحة

فليت شعرى لم هذا العبث ؟ أما كان يمكن إحالة القارىء على التراجم المطولة فى أماكنها ؟

ص ١٨٤ — « وإنما يستثقل بالجل من لا يعرف قيمة الخيل» وفى الحاشية الجل : السرج . وهذا غلط واضح إنما الجل ما تُلبَسه الدابة ليصونها من برد أو حر

ص ١٨٥ — البارح الريح الحارة فى الصيف تأتى من قبل اليمين ، ولست أدرى ما معنى اليمين هنا ؟ هل المراد ان هذه الريح تدور مع الشخص كيفما دار فتأتيه عن يمينه ؟ أظن فى هذا لبسا بين البارح من الرياح والبارح من الحيوان

ص ٢٠٥ — «تكريت : بلدة مشهورة ... ولها قلعة حصينة فى طرفها الأعلى راكبة على دجلة غربيها» وهذا وصف تكريت فى الزمن القديم وكان ينبغى أن توصف تكريت الحاضرة أو يقال : كانت الخ ولا يجوز أن توصف بلاد قائمة بأوصاف زالت عنها ، وليس فى تكريت اليوم قلعة حصينة فى طرفها الأعلى

ص ٢٧٧ — فى الكلام عن بعض الوزراء : « فكانت له أفعال منكرة ، منها أنه استدعى العيارين وضمنهم مايسرقونه من أموال الناس» . وفى الحاشية : ضمنه الشيء كفله به وألزمه إياه اه وهذا تفسير لا يصلح هنا . فلو أن هذا الوزير ألزم العيارين